

ثنائية الرجل والمرأة (دراسة في شعر الاتجاه المحافظ الأندلسي)

The duality of man and woman
(a study in the poetry of the conservative Andalusian trend)

Prepared by: Sarah Hassan Hadi
Sarah.hassan123123@gmail.com

Supervised by:
prof.Dr. Raid Fouad Taleb
Assistant Prof. Dr. Walid Mazhar

سارة حسن هادي
أ.د. رائد فؤاد طالب
أ.م.د. وليد مزهر
جامعة البصرة - كلية الآداب

تاريخ النشر: 2025/1/1

تاريخ القبول: 2024/8/13

تاريخ الإستلام: 2024/8/1

Received: 1 / 8 / 2024

Accepted: 13 / 8 / 2024

Published: 1 / 1 / 2025

على تصوير التفاعل بين أقطاب
العلاقة الإنسانية الرجل والمرأة
، ووصف التجربة الغزلية التي
جاءت انعكاساً عن الصيغة
المشرقية وتعبيراً عن مشاعر الرجل
وعاطفته حتى بدت صورة المرأة
في شعره صدى لتلك العاطفة.
الكلمات المفتاحية: الاتجاه المحافظ
الأندلسي، الثنائيات الضدية، ثنائية
الرجل والمرأة.

مُلخَص:
يتناول هذا البحث بالدرس
والتحليل النصوص الشعرية التي
تبحث في ثنائية الرجل والمرأة
كواحدة من الثنائيات الضدية
التي برزت في شعر الاتجاه
المحافظ الأندلسي، ضمن سياق
تفاعل الطبقات الاجتماعية التي
كانت تحكمها الأنساق الثقافية،
دورها كثنائية قائم بالأساس

معاناته الوجدانية الخاصة، يعبر فيها عن ما يختلج قلبه من عاطفة أو ما يحسه من شوق أو ما يعاينيه من ألم الفراق والبعد.

كانت صورة المرأة في شعره تمثل جانب اكتمال العالم الإنساني، القائم على تفاعل التجربة الإنسانية، تنقسم حيناً ليشكل كل طرفٍ فيها ثنائيةً ضد الأخرى، أو تتواصل ولا تدع مجالاً لهذا الانقسام، التزم في بعضها الغزل المحافظ والحب الصادق وحافظ فيها على تقاليد الحب وأعراضه العفيفة، وحاكي فيها الكثير من معاناته ومكبواته، فكان يعمد «إلى وصف العواطف المتأججة التي تورق صاحبها وتُقلِّقه، بحيث لا يسمح له بالتفكير بأي لذة مادية، وإمّا اللذة الوحيدة التي تملك عليه شعوره وتستأثر بعواطفه هي لذة الأمل بأنه يحب»⁽¹⁾.

وبدت هذه الثنائية كظاهرة عند الشعراء المحافظين، تؤكد أن تجسيد التجربة الشعورية في خطابهم الشعري، كانت صدى لحياتهم وتجاربهم النفسية، فلا تكاد تخرج تجاربهم الشعورية عن إطار الانفعالات النفسية مؤكدة على أنَّ

Abstract

This research studies and analyzes the poetic texts that explore the duality of man and woman as one of the antithetical dualities that emerged in conservative Andalusian poetry, within the context of the interaction of social classes that were governed by cultural systems. Its role as a duality is based primarily on depicting the interaction between the poles of the human relationship, man and woman, and describing the erotic experience that came as a reflection of the oriental formula and an expression of the man's feelings and emotions, so that the image of woman in his poetry appeared as an echo of that emotion.

مدخل:

برزت ثنائية الرجل والمرأة في الشعر الأندلسي المحافظ، كنوع من الثنائيات التي انبثقت عن تمركز الضد، في الفترات الأولى المختلفة من الحياة الأندلسية المتقلبة اجتماعياً وسياسياً وثقافياً، أي أنها أكثر ما جاءت انعكاساً لصورة ذاتية عن مشاعر الرجل، يبحث فيها الشاعر عن خفايا النفس من مشاعر وأحاسيس، يساير فيها النفس الشاعرة المرهفة مرة، ويستجيب أخرى لتأثير

« الشاعر الأندلسي أنسان مرهف الحس يعيش واقعه ويتأثر به فيأتي تأثيره ولواعج نفسه بعبارات موسيقية تُشحن بخلجات وجدانه، واهتزازات عواطفه وانفعالات ذاته وينثر ما تكنه أعماقه وما حملته الأيام من تجارب خلال مسيرته الطويلة مع الزمن والحياة والمجتمع، وما تحمله من أفراح وأحزان من غبطة وألم»^(٣)، وعلى الرغم من ذلك فإنه حاول في بعض قصائده، إلا يخرج عن النسيج العام للغزل العربي، يُعيد الأفكار والمعاني المشرقية، يقف على الاطلال و يستذكر الديار في كثير من حالاته، عبر عنها الشاعر محمد بن عبد العزيز العتبي بقوله^(٣) :

فأسال بها ربوعهنّ وما الذي
يجدي عليك سؤال ربع دائرٍ
عفت معامله الليالي مثلما
عفى سواد الشهر بهجة عامرٍ
وتناول أحمد بن عبد ربه المعنى
نفسه، بقوله^(٤) :
ديارٌ عفت تبكي السحاب طولها
وما طللٌ تبكي عليه السحابُ
وتنديها الأرواح حتى حسبتها
صدى حفرة قامت عليها النوادُبُ

لكن في الوقت ذاته تبين لنا أكثر أنّ ثنائية (الرجل / المرأة) في شعره امتزجت بين طابعها المشرقي الاصل وطابع الاندلس الجمالي، ليتجه فيها الغزل عنده وجهة وجدانية، بطريقة التقت فيها العاطفة كثيراً مع النفس، لكنها مع ذلك استجابت للمؤثرات الجمالية، ما جعل مغريات البيئة الناعمة، تلفت أنظاره وتوقظ لديه مكامن العاطفة، وتحرره من كثيرٍ من القيود والتقاليد الغزلية التي تحكمت بطريقة تعبيره عن ذاته، فتحرر معها الكثير من مكنونات نفسه، حتى راح يصف حالة الوجد والهيام، وما تخلفه في الجسم من أثر بطريقة أرق. نراها في قول الأمير عبد الرحمن الأوسط^(٥):

فقدت الهوى مذ فقدت الحبيبا
فما أقطع الليل إلا نحيبا
وإما بدت لي شمس النهار
طالعة ذكرتني طروباً
لئن حال دونك بعد المزار
من بعد ان كنت مني قريباً
لقد أورث الشوق جسمي الضنى
وأضرم في القلب مني لهيباً
لم يحمل الخطاب هنا صورة
متكاملة لثنائية الرجل والمرأة،

يقدم الخطاب هنا التجربة الشعورية بطريقة ذاتية تبوح صدقاً عن ماهية الشاعر، يضعها في قالب (البعد / الوصال)، يكتنفها الطابع التقليدي لطبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة، الرجل يميل إلى البوح الوجداني والتعبير، والمرأة الجانب المتحكم في مشهد الثنائي، ما أن جادت بالوصال حتى تبددت معه كل المشاعر الأخرى (السقم / الألم)، الشوق الذي يوِّلد السقم من علامات المعاناة الواضحة في الحب، وهو صيغة شعرية كثيراً ما يرددها الشاعر في محاورة طرف الثنائية، لا يكاد يفصلها تعبير الخطاب الشعري هنا عن بواعثها الحقيقية في ذات الشاعر، فهي تنطلق من رغبته الدائمة في القرب، ولا يراها إلا سبباً في استمرار انعدام السعادة. لذا أعادها بقوله^(٨):

أدعو عليك فلا دعاء يسمع
يا من يضر بناظريه وينفع
للورد حين يطلع دونه
والورد عندك كل حين يطلع
لم تتصدع كبدي عليك لضعفها
لكنها ذابت فما تتصدع

إنّما أحدثت القطيعة بعداً جديداً
أحال لذة الوصال إلى التلاشي، عدم
حدوث الوصال ولّد احساساً في ذات
الشاعر بالنقص والصراع، تحول معها
بعد المكان وتبدل لحظات الصفاء
إلى ذكرى يعمّ طابعها السلبي لما
يكدّر صفو حياة الشاعر، ويعتريها
شعور اللوعة والمكابدة، لم تحتل
فيها الثنائية غير الصورة المتوقعة
للحظات الفراق والبعد، امتزجت
بأبعاد الثنائيات الأخرى (أورث / أضرمت)
(جسمي / القلب) (الضنى / لهيبا)
(. لما يبدو ان شعور الانفصال بين
طرفي الثنائية خلق لحظات مقارنة
في مخيلة الشاعر بين الماضي السعيد
لحظات الود والوصال والحاضر
المؤلم المكتظ بالحزن والفراق^(٩).
يكررها ابن عبد ربه على نحو
مماثل بقوله^(١٠):

هيج الشوق دواعي سقمي
وكسب الجسم ثياب الأم
أيها البين اقلني مرة
فاذا عدتّ فقد حلّ دمي
يا خليّ الروع في غبطة
إنّ من فارقته لم ينم
ولفّ هاج بجسمي سقما حبّ
من لو شاء داوى سقمي

يمكن لطبيعة الانفعالات النفسية أن تتحكم في ثنائية الرجل والمرأة في الخطاب الشعري، من خلال البواعث النفسية للرجل أو ما يقابلها من المرأة بوصفها «أموراً» تحدث للنفس الإنسانية نتيجة مؤثرات أو انفعالات وهذه الامور أما مناسبة أو منافرة للنفس بالمسرة وتقضب بالكآبة والاستغراب»^(٩)، أي أن الدافع في البوح الوجداني للرجل ما أن يتقابل بالصدود، حتى تتحول معه لحظات الغزل المتدفقة إلى لحظات شكوى وعتاب للمرأة « لذلك كانت استجاباتهم تحمل أكبر قدرًا من اللحظة الراهنة لأي من المؤثرين: الأم والفرح وهذا ما جعلهم في حالة قلق وتوتر مستمر»^(١٠)، بين شعور الاضطراب جراء البعد وبين الرغبة الجامحة في الوصال، هذا ما نراه هنا ما أن أنتقل شعور التناقض في ذات الشاعر سريعاً من جمال التشبيه إلى استحضار لحظات الأم والمعاناة، وهي حالة نفسية تتردد في ذات الشاعر كثيراً بوصفها تعكس الجانب الثاني من شخصيته، فعادة ما يكون الشعراء أكثر احساساً وعاطفة من غيرهم، فيصيغون تجاربهم الذاتية بقوالب شعرية

تعبر عن تلك العاطفة المتقلبة إزاء الأحداث. ويبدو أن طبيعة العلاقة الثنائية بين الرجل والمرأة في الخطاب الشعري المحافظ، تلازمها السمة التقليدية ذات الصبغة المشرقية في طبيعة التعبير عن العاطفة عند الشاعر الفارس، تقدم التجربة الغزلية بطريقة لا تكاد تخرجها عن مألوف العرب «لأن العرب فلسفوا عاطفة الحب في شعرهم وقصصهم الصوفية على أن عاطفة الحب لديهم كانت منذ نشأتها وليدة خلق الفروسية العربية»^(١١)، وهذا التأثير «أمر طبيعي في تلك الفترة، فالشعر الاندلسي قد ولد معتمدا على الشعر المشرقي، حيث كان المشرق هو المعين الذي اقتبس منه شعر الاندلس كل ما يتصل بالفن الشعري، سواء الموضوعات والألفاظ وحتى الصور»^(٢١). شخصية الفارس الخاضع أمام المرأة ظاهرة مكررة في السياق الغزالي الأندلسي، أشار إليها الحكم بن هشام أكثر من مرة في قوله^(٣١):

ظل من فرط حبه مملوكا
ولقد كان قبل ذلك مليكا

ان بكى أو شكى الهوى زيد ظلما
وبعداً يُدني حِمَاماً وشيكا
تركته جَادِرُ القصر صبا
مستهماً على الصعيد تريكا
يجعلُ الخدَمَ مثلاً فوق ترب
وهو لا يرتقي الحرير اريكا
هكذا يحسن التذلل للحر
إذا كان في الهوى مملوكا

المبالغة في الخضوع تبرز بوضوح في ذات الشاعر هنا، لا تقبل الاستثناءات ولا تبرر السلطان للترفع عن التذلل للحبيبة، كل وسائل التعبير تمتلك شرعيتها للبوح، ثنائية (المحب / مملوك) (الحبيب / حر) توحى دلالتها الظاهرة عن طبيعة السياقات الغزلية التي تترجم الحب بالعاطفة المقيدة أو «ما يسمى بالحب المعذب الذي تفنن الشعراء في وصفه فرحين بالتذلل للحبيب والخضوع له»^(٤١)، وهي طريقة قد «تعبر عن مشاعر النفس ومعاناتها من الفراق، وما يحدثه هذا من أثر نفسي في شعور الشاعر الذي يعاني منه»^(٤٢)، يحشد فيها الخطاب كل صور اللين والاضطراب لتقابل كل صور القوة والشجاعة في شخصيته، ويعلل ثنائية (القوة / الضعف)

وتبادل الأدوار بين قطبي الثنائية، المرأة بطبيعتها اللينة تملك زمام المواقف في الحب، فهي تستمد سلطتها من طبيعتها الراضية، و تجيد تحويل ضعفها إلى قوة، بينما سلطة السلطان تتراجع إلى تذلل، بل لا يرى فيه الحرج (ان بكى أو شكى) أو فقدان هيبة السلطان «والبكاء من علامات المحب، ولكنهم يتفاضلون فيه، فمنهم كثير الدمع هامل الشئون، تجيبه عينه وتحضره عبرته إذا شاء، ومنهم جمود العين عديم الدمع»^(٤٣)، لذا مثل هذا النوع من التعبير صدقاً أكثر بين طرفي الثنائية، فالرجل هنا يمثل سلطة عليا يقوده سلطان العاطفة إلى الوقوع في حب جارية، ولا يتردد في قول الشعر أو التعبير عن ذاته، إنما يصدر منه النسق الغزلي بحيث بدت فيه شخصيته خاضعة ومنساقة خلفها، لذا عبر عنها ثانية بقوله^(٤٤):

قضبٌ من البان ماست فوق كئبان
أعرضنّ عني وقد أزمعن هجراني
ناشدتهن بحقي فالتزمن علي
الهجران حتى خلا منهن هيماني
ملكني ملك من ذلت عزمته
للحب ذلٌ أسير موثق عاني

مَنْ لي بمغتصبات الروح من بدني
غصبني في الهوى عزتي وسلطاني

يوشي الخطاب ان المرأة غالباً ما
تعيش التناقض في طبيعة علاقتها
بالرجل، هي الحبيبة متى شاءت
والنقيض ما أن أعرضت، سرعان ما
يتبدل لديها الحال من أعلى درجات
الصفاء والود إلى حالة الانفصال التام
والهجران، يبقى الرجل معها أسيراً
لذلك التناقض في شخصيتها وغالباً
هذا النوع من الصراع لا يأتي إلا بعد
أن أسهمت المرأة « اسهاماً فعّالاً في
بناء سعادة الحياة استحوطت عامل
هدم لهذه السعادة، وعدواً لدوداً
لا يؤمن جانبه»^(٨١)، وعلى الرغم
من سلبية أبعاد هذه العلاقة إلا أن
الرجل يعبر عنها بنوع من القبول،
ولا نفسّر بغير أنها تصدر عن حالة
نفسية غريبة تبرر الضعف في الحب
من سمات النبل والسمو للأمرء،
يقابلها الخطاب بظاهرة الاستلاب
لثنائية (الروح / البدن) ، ما أن
أستلّبت الروح من البدن بخضوعها
لسلطان الحب، أستلّبت الحياة من
البدن جراء الصدود، فهو يرى في
الحب الغياب الكامل لسيطرة العقل،
وانعدام الوعي والإدراك وكان القلب

فقط المحتكم إليه، فتنازع سلطان
الحكم وسلطان الهوى وهُزم الأول
في حضرة الثاني، يعيدها الامير عبد
الرحمن بن الحكم بقوله^(٨١):

قتلتنني بهواكا
وما احب سواكا
من لي بسحر جفون
تديره عينك
وحمرة في بياض
تكسى به وجنتاكا
اعطف علي قليلاً
واحيني برضاكا
فقد قنعت وحسبي
بأن أرى من رأكا

وإذا كان التعبير عن الوجدان الذاتي
قد انتشر في البادية العربية، وعاش
الكثير من شعرائها عشقاً محروماً لا
سبيل إلى التواصل فيه، وجاء خطابهم
الشعري يحمل أنيناً خافتاً يعبر
عن شقائهم وحرمانهم، فلا يُعدم
لذلك الأنين نظيراً في الأندلس^(٨٢)، بل
غالباً ما كان الحرمان الحدث الأبرز
في نسج مشهد ثنائية (السعادة /
الشقاء) وارتباطها المباشر بثنائية (
القرب / البعد)، فالشاعر المحافظ
يرى أن السعادة بمفهومها الواسع
تكاد تنعدم لحصول الفراق، ويعلل
عدم جدوى الصبر من أعراض

التعبير عن مشاعره فزراها تتردد في
كثيرمن الخطابات الغزلية، وكأنها
تعيد تجربتهم الغزلية ذاتها. منها
قول الشاعر أبي الربيع سليمان بن
محمد^(٢٢)

كيف لي أن أعيش دونك يا
بدر الدياتي وأنت مني بعيد
إن يوماً أراك فيه ليوم
في حسابي مدى الزمان سعيد
ومرادي الا أراك تداني
غير وصلي وذاك مالا تريد
كما في قول عبد الملك بن بشر^(٢٣):

وبنفس من عندها اليوم قلبي
عليق في حبالها معمود
كما قلت قد تناهيت عنها
عادي من غرامها ما يعود
فبقلبي من لاعج الحبّ منها
كل يوم سقم وحزن جديد
لكن الملمح الأبرز في ثنائية (الرجل
/ المرأة)، حضور القلب الجمالي
للمرأة في الخطاب الشعري، والذي
يستقيه الرجل مما تغنى به الشاعر
المشركي و الشعراء الأقدمون، حيث
تكاد تكون صورة المرأة واحدة
في نظرهم، تُرسم لها الملامح في
قلب جمالي، فالمرأة الجميلة في
تعبيرهم، هي ذات الوجه المستدير
الذي يشبه البدر، والشعر الطويل

صدق الشعور، فلا سعادة دون
قرب، ولا انتهاءً للشقاء مع البعد،
نلمحها في حديث الشاعر أسماعيل
المنادي بقوله^(٢٢):

سلام على خلّ أدين بحبه
وأصفيه من حلو الوداد وعذبه
سلام امرئ أودى الفراق بصبره
ولجّ فأودى بالفؤاد ولبه
لعل الذي شت الجميع بنأيه
سيجمعنا بعد الشتات بقربه

ينصرف الخطاب الى التعبير عن
ثنائية (الرجل والمرأة) والتركيز
على فكرة الفراق هنا، والتي
عادة ما تصاحب المرأة، فهي
غالباً تكون محكومة بالظروف
والمجتمع، لذا قدرتها على التعبير
أو المبادرة، لا تكون إلا في مقابل
ما يصدر عن الرجل، فهي غالباً
لا تمتلك زمام المبادرة، لذا نراها
دائماً تتخذ حالة النأي والابتعاد،
ويبقى الرجل مترقباً لذلك الوضع،
يعاني الفراق ويمتني النفس بلحظات
الوصال (لعل الذي شت الجميع)،
قد يتضح منها أنها فكرة غزلية
يردها الشاعر، على عادة الشعراء
المشركين، أو أنها النموذج الغزلي
الذي يفتح به الشاعر طريقته في

والعيون الساحرة والخذ المورد،
يشبه الورد^(٤٢)، وكثيرا ما مزجوا تلك
الأوصاف بأوصاف الطبيعة، لينجلي
لنا أن المرأة حاضرة بصورتها تلك،
في وجدان الشاعر كقالب غزلي،
يقدمها الشاعر المحافظ بطريقة
الوصف المستفيض لجمالها . كقول
الأمير عبد الله بن محمد^(٥٢):

ويحي على شادن كحيل

في مثله يخلع العذار
كأما وجنتاه وردٌ

خالطه النور والبهار

قضيب بان إذا تتنى

يدير طرفا به احورار

وقف عليه صفاء ودي

ما اختلف الليل والنهار

يكرها ابن عبد ربه بقوله^(٦٣):

حوراء داعبها الهوى في حور

حكمت لواحظها على المقدور

نظرت إليّ بمقلتي أذمانة

وتلفتت بسوالفِ اليعفور

فكأما غاص الأسى بجفونها

حتى أتاك بلؤلؤ مَنثور

فطريقة النص الشعري في تقديم

أحد طرفي الثنائية (المرأة) في صورة

شعرية تستمد مضمونها من ثنائية

(الصدق / المبالغة) جرى فيها

الشاعر على عادة الشعراء العرب،

عادة ما تربط التعبير عن الحب
للمرأة بجمالها البدني المحسوس،
فهي مرة تمتلك من مزايا الجمال ما
تماثل فيها وصفه، وأخرى يراها بعين
العاشق الذي يرى في الحبيبة كمال
الصفات، فيجنح إلى المبالغة ليُكمل
الصورة إلى ما يماثلها من رؤيته
القلبية، لذا نرى الوصف لديه لا
يخرج عن مفردات تكاد تتكرر في
أكثر الخطابات الغزلية، لأنها تنطوي
على معانٍ الجمال وأقصى درجات
الحسن للمرأة عند العرب (حوراء
/ قضيب بان).

ومما يمكن أن يُلفت إليه أن
الشاعر المحافظ أفاض في التعبير
عن عاطفته بطريقتين، الأولى كان
الدافع فيها صدق الشعور فعرض
تجربته وفقاً لما يخالج نفسه،
يرق ويستعطف ويتذلل ويشكو،
والثانية انسياقاً خلف الشهوة
والرغبة^(٧٢)، «يصادف الإنسان بين ما
أنشأ العرب من شعر الغزل أبياتاً
تروعه منها حالة نفسية غريبة
من العفة يعسر تحديد ماهيتها، في
حين كان الاتجاه الغالب على الحب
ومفهومه إذ ذاك اتجاهاً حسيّاً»^(٨٢)،
وكلاهما لا ينتفي فيهما الاحساس،
لكن يبدو أن الأول أصدق في التعبير

والطريقة الثانية في قول مؤمن بن سعيد^(٣٣):

من كلِّ خَوْدٍ لو تُعَلُّ مدامَةً
حَسِبْتُ مرَاشفها المدامُ مداما
حوراءُ ساجيةُ الجفونِ بطرفها
سَقَمٌ يُؤلِّدُ سحرَهُ الاسقاما
وكقول محمد بن عبد العزيز^(٣٣):
وتبسمَ عن أَملى أَعْرَى كَأَنَّهُ
أَقاحِ حَبَّتُهُ مزنةٌ بالتبسمِ
كَأري لصابٍ شيبَ بالماءِ ريقَهُ
إذا مَجَّهُ أو كالرحيقِ المختمِ
وابن عبد ربه يفيض في رسم الصورة
بقوله^(٤٣):

اشرب على المنظر الأنيق
وأمزج بريق الحبيب ريقِي
واحلل وشاح الكعبان رفقا
خوفا على خصرها الرقيق
وقل لمن لام في التصابي
خذوا قليلاً عن الطريق

جاءت ثنائية الرجل والمرأة في خطابهم الشعري، شبيهة بتباين حال الحب لديهم، فهو لم يكن كله بطبيعة الحال عذرياً، فمن شعرهم مقطعات، يعرض فيها الشعراء، مشاهد مفصلة من الحب الحسي، يصفون فيها ما يقع بينهم وبين المحبوب وصفا مطولاً، بل أرسل

عن صدق المشاعر، وربما أن تمثيل جوانب البيئة الأندلسية، أفضى لهذا الانقسام، «وأوضح سمات هذا الغزل تتجلى في رفته الناشئة من التفنن البياني في وصف محاسن من يقع الشعراء في حبهن من نساء الأندلس الجميلات، وفي تصوير مشاعرهم المتضاربة تجاههن من وصل وهجر، وقرب وبعد، وإقبال وإعراض»^(٩٢) نرى الأول في قول بشر بن الأمير عبد الرحمن بن الحكم^(١٠٣):

حجابك لي عن الدنيا حجاب
ويوم لا أراك به عذاب
وقد كانت تضيق الأرض عندي
إذا وراك ستر أو نقاب
فكيف أعيش إذا وارك عني قصور
دونها باب فباب

وفي مشاهد الوداع والفرار كقول الشاعر عبد العزيز العتبي^(١١٣):
إلا في سبيل الله قلب متيم
اصيبت بين الضاعنين مقاتله
هوى صبره بالبين من ذروة الهوى
وغالته إذ بان الخليط غوائله
تيفنتُ أن الصبرَ عني زائلٌ
عشية زمت للرحيل رواحله

بعض الشعراء خطاباتهم الشعرية ممتلئة بأوصاف ليالي الأُنس ، كما عبروا في أكثر من موضع عن جمال الجسد الأنثوي^(٥٢) ، « إنما يدل على ما كان يتوفر في قلوب الشعراء من إعجاب مفرط بالجمال البدني المحسوس ، وربما كان ذلك من الخصائص المميّزة للعقلية العربية، ورثته فيما ورثت من مشاعر البدو وميولهم ، شأنه في ذلك شأن الحب العذري الذي أنحدر من البدو إلى الأجيال المتواليّة عن طريق العرب والمسلمين»^(٦٣) ، كما في قول الشاعر سعيد بن جودي^(٧٣) :

لا شيء أملح من ساق على عنق
ومن مناقلة كأس على طبق
ومن مواصلة من بعد معتبة
ومن مراسلة الأحباب بالحدق
جريت جري جموح في الصّبا طلقا
وما خرجت لصراف الدهر عن طلقي
ولا انثيت لداعي الموت يوم وغي
كما انثيت وحبل الحب في عنقي
لا تخلو طريقة الخطاب هنا من
التعبير الصريح، بين ما تحدّثه
الخمير من تأثير وبين ما يحدثه
اللقاء بعد الجفاء، كان الباعث فيها
شخصية القائد اللاهية، والدافع وراء
ميله لهذا الجانب منها، ما دعا به

إلى بيان موقعه بين ثنائية (الحب / الحرب)، الشاعر القائد الذي لا يرد دعوة الموت في الحرب، يكشف عن صراعٍ من نوع آخر، بدت فيه شخصيته منساقّة وراء الرغبات، خاضعة للملذات، لا تجيد الانفلات من قيود الشهوة ولا تستطيع التحرر منها، جاء الحديث عن عاطفته في الحب مادياً، رغم محاولته لنقل مشاعره، إلا أن الصورة لم تكن كافية عن صدق العاطفة، إنما كانت تصوّر شخصية القائد العابثة التي ترى حب المرأة، من جانب آخر الجانب المسيطر على شخصيته والمتحكم فيها. ويبدو أنها غلبت على طابع شخصيات العديد من الشعراء لما رافق ذلك طبيعة حياتهم اللاهية «أن كثرة مجالس الخمر والغناء والرقص قد وسعت من دائرة الغزل، فكثرت عشق الشعراء للقيان والجواري والمغنيات، لأنهم وجدوا فيهن مجالاً لاستثارة مشاعرهم وإشباع غرائزهم»^(٣٨).

وليتبين أن هذا الجانب من ثنائية (الرجل / المرأة) لم يُدرك فيه الجانب النفسي للمرأة من حياتها، ووضعها الخاص في ظل المجتمع الإسلامي، لذا لم يعد الشاعر المُحب

ضمن الواقع ، إنما كعادة ما يتغنى به الشعراء في خطابهم الغزلي، الذي يميل إلى وصف المرأة وصفاً دقيقاً كصيغة جمالية إلى جانب التعبير عن مشاعرهم.

يرى من جمالها إلا الحسي الملموس، أي الصورة البدنية، فترجم ذلك الأعجاب بالاندفاع، فأندفع اندفاعاً عنيفاً لا يُرد، وراح يعبر عن عاطفته بطريقة تتعد فيها المشاعر، إنما كان يحرص في خطابه الشعري، على الوصف والتشبيه للمرأة، حتى بدت في بعض الخطابات مكررة، ولم يجد الشاعر ما يبرر استمراره في طريقته تلك، إنما عالجها بوصف الزينة التي ترتديها، وقرنها بجمال الطبيعة، لكنه أبتعد فيها عن مكامن العاطفة الحقيقية لدى المرأة^(٩٣).

أو ربما جاء تعبيره هذا كما يرى هنري بيرس « بيد أن هذا الاعجاب بالجسد الأنثوي، والتغني بتقاطيعه ومفاته، لم يكن حكراً على الشاعر الأندلسي، الذي ورث فيما ورث عن الشاعر العربي هذا الغزل المسمى حسيّاً، والذي ارتسمت معالمه وحدوده، وترسخت تقاليد وعرافه، منذ البدايات المبكرة للشعر العربي، بأن جانباً مما كان يتردد في الشعر، أكبر مما كان يجري في الواقع فعلاً »^(٩٤)، أي ما قد يكون فقط مرافقاً لجانب الحياة اللاهية والعبثية، التي شهدتها البيئة الأندلسية، ولا يندرج

- الهوامش :
- ١- باعث العاطفة في حقول التراجيديا في الشعر الأندلسي، حميدة صالح بدوي: ١٠٨.
 - ٢- يتيمة الدهر، الثعالبي: ج ٢ / ٢٩ .
 - ٣- التشبيهات: ١١٦ .
 - ٤- الحلة السيرة، ابن الأبار: ج ١ / ١٤٤ .
 - ٥- ينظر: الشعر والحساسية دراسات نقدية، يوسف سامي يوسف: ٨٤ .
 - ٦- نفع الطيب: ٢٦٢/٩
 - ٧- مختارات من الشعر الأندلسي، نيكل: ٢٢ .
 - ٨- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجي: ١١
 - ٩- الاغتراب في الشعر الأموي: ٣ .
 - ١٠- الادب المقارن، محمد غنيمي هلال: ٢٠٠ .
 - ١١- الانساق الثقافية في الاشعار الاندلسية، عمر عادل سلوم: ٤٨ .
 - ١٢- البيان المغرب: ج ٢ / ٨٠ .
 - ١٣- في الادب الاندلسي، جودت الركابي: ١٢١ .
 - ١٤- صورة المرأة في الشعر الاندلسي (عصري الطوائف وبنو الاحمر): ٤١ .
 - ١٥- طوق الحمامة، ابن حزم: ٧٠ .
 - ١٦- الاحاطة في اخبار غرناطة: ج ١ / ٤٨٩ .
 - ١٧- نحو رؤية للانساق الثقافية في الشعر الأندلسي، أحمد جمال المرزايق: ١٦١ .
 - ١٨- الحلة السيرة، ابن الأبار: ١١٨ .
 - ١٩- ينظر: صورة المرأة في الشعر الأندلسي، سلمان القرشي: ٤١ .
 - ٢٠- يتيمة الدهر: الثعالبي: ج ٢ / ٥٨ .
 - ٢١- المغرب في حلى المغرب: ج ١ / ٣٦٢ .
 - ٢٢- الحلة السيرة: ج ١ / ٥٩ .
 - ٢٣- ينظر: اتجاهات الشعر الاندلسي: ١٩٨ .
 - ٢٤- الحلة السيرة: ج ١ / ١٢١ .
 - ٢٥- يتيمة الدهر: ج ٢ / ٨٠ .
 - ٢٦- الادب الاندلسي، عبد العزيز عتيق: ١٦٩ .
 - ٢٧- الشعر الأندلسي، غارسيا غومس، ت حسين مؤنس: ٤٢ - ٤٣ .
 - ٢٨- الأدب الاندلسي، مصدر سابق: ١٧٠ .
 - ٢٩- الحلة السيرة: ج ١ / ١٢٦ .
 - ٣٠- يتيمة الدهر: ج ٢ / ٢٩ .
 - ٣١- المصدر نفسه: ١٣٩ .
 - ٣٢- التشبيهات: ١٣٩ .
 - ٣٣- نفع الطيب: ج ٥ / ١٠٨ .
 - ٣٤- ينظر: الشعر الاندلسي، مصدر سابق: ٤٥ - ٤٧ .
 - ٣٥- المصدر نفسه: ٤٨ .
 - ٣٦- الحلة السيرة: ج ١ / ١٥٨ .
 - ٣٧- اتجاهات الشعر الاندلسي: ٢٠١ .
 - ٣٨- ينظر: الشعر الاندلسي، غارسيا غومس: ٤٨ .
 - ٣٩- الشعر الاندلسي في عصر الطوائف، هنري بيرس: ٣٥١ .



- مصادر البحث ومراجعته :
- ١- اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، د. نافع محمود، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١، ١٩٩٠ م.
 - ٢- الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، نشر الأستاذ عبد الله عنان، القاهرة، ١٩٥٥ م.
 - ٣- الأدب العربي الأندلسي، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د. د. ت.
 - ٤- الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٩، ٢٠٠٨ م.
 - ٥- الاغتراب في الشعر الأموي، فاطمة حميد السويدي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧ م.
 - ٦- البنى الثابتة والمتغيرة لشعر الغزل في صدر الإسلام والعصر الأموي، شاعر هادي التميمي، دار الرضوان للنشر والتوزيع، ٢٠١٢ م.
 - ٧- البيان المغرب في أخبار المغرب، ابن عذاري المراكشي، مكتبة صادر، بيروت.
 - ٨- التشبيهات من أشعر أهل الأندلس، أبي عبد الله عبد الله محمد بن الكناني، تح: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٦ م.
 - ٩- جماليات النقد الثقافي، نحو رؤية للانساق الثقافية في الشعر الأندلسي، أحمد جمال المرزايق، دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٩ م.
 - ١٠- الحلة السيرة، ابن الأبار، تح: د. حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣ م.
 - ١١- الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، هنري بيرس، تر: الطاهر مكي، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٨ م.
 - ١٢- الشعر العربي بحث في تطوره وخصائصه، إميليو غارسية غومس، تر: حسين مؤنس، مكتبة النهضة مصر، ١٩٥٢ م.
 - ١٣- الشعر والحساسية - دراسات نقدية، يوسف سامي يوسف، منشورات وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٠ م.
 - ١٤- صورة المرأة في الشعر الأندلسي، سلمان القرشي، دار التوحيد، ١١٨ زنقة نابولي المحيط، المغرب - الرباط، ط ١، ٢٠١٥ م.
 - ١٥- طوق الحمامة في الأفة والألف، ابو محمد علي بن الحزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ)، مكتبة عرفة دمشق، د. د. ت.
 - ١٦- في الأدب الأندلسي، جودت الركابي، دار المعارف، مصر، ط ٢، ١٩٦٦ م.
 - ١٧- مختارات من الشعر الأندلسي، جمع وتح: آ. ر. نيكل، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٤٩ م.
 - ١٨- المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد، تح: شوقي ضيف، دار المعارف مصر، ١٩٥٣-١٩٥٥ م.
 - ١٩- منهج البلغاء وسراج الأدباء، ابو الحسن حازم القرطاجي، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، الدار العربية للكتاب

درمان / معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي ، ٢٠٠٧-٢٠٠٨ م .
البحوث :
١-الانساق الثقافية في الأشعر الأندلسية (يحيى بن الحكم الغزال نموذجا) ، عمر عادل سلوم ، جامعة ديالى ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، ٢٠٢١ م .
٢- باعث العاطفة في حقول التراجميدا في الشعر الأندلسي ، أمل صالح رحمة ، حميدة صالح بدوي ، مجلة البحوث التربوية والنفسية ، العدد ١٧ .

، تونس ، ط٣ ، ٢٠٠٨ م .
٢٠- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، أحمد بن محمد المقرئ ، تح : د . احسان عباس ، دار صادر ، ٢٠١١ م .
٢١- يتيمة الدهر ، ابي منصور عبد الملك الثعالبي ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٤٧ م .
الرسائل والاطاريح :
صورة المرأة في الشعر الأندلسي (عصري الطوائف وبنو الأحمر)عائشة إبراهيم سلامة (اطروحة دكتوراه) جامعة أم

